

الفصل الرابع

الهدى القرآني في التربية

لا شك في أن التربية القرآنية هي أعلى تربية وأرقاها، وقد ظهرت بركة هذه التربية في الجيل الأول الذي نزل عليه القرآن منجماً، يغرس فيهم أصول العقائد، ويُعمق فيهم المعاني الإيمانية الشريفة، ويثبتهم على الإيمان، وكان الصحابة رضي الله عنهم يتلقون الآيات القرآنية بالإيمان والتصديق، ويصدرون عنها بالعمل والاستجابة والطاعة، فترقى بهم القرآن إلى أعلى درجات اليقين والصدق والإخلاص والبذل والتضحية والثبات، وظهرت فيهم المواقف الإيمانية والأحوال الشريفة التي تصدق ما في قلوبهم من إيمان وتصديق بالقرآن، وكان أمام الصحابة رضي الله عنهم التطبيق العملي للقرآن وهو النبي عليه الصلاة والسلام، فقد كان صلى الله عليه وسلم قرآناً يمشي على الأرض، سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: «كان خلقه القرآن»^(١).

وهذه أمثلة للتربية القرآنية:

١- القرآن يربي في قلوب الناس عقيدة التوحيد:

قال الأستاذ/ محمد شديد: «وقد كانت البشرية قبل القرآن متردية في حمأة الوثنية والشرك، بين عبادة الأصنام بشتى الصور والأشكال، وبين دعوى البنوة لله تعالى التي كانت عند العرب في صورة بنوة الملائكة لله، وعند مُشركي اليهود في صورة بنوة عزيز لله وعند مشركي النصارى في صورة بنوة عيسى لله، فجاء بها القرآن ناصعة واضحة جلية، ليس فيها لبس ولا غموض، ولا تنجح إلى الأحاجي والألغاز، ولا تصطدم بمنطق أو تفكير، ولا تحير العقول والأفهام، ولم يلجأ القرآن قط في إقامة الدليل عليها إلى أفضية المنطق الجافة ولا إلى الإقناع الذهني المجرد، إنما جاء بالأدلة السهلة الواضحة، التي

(١) تقدم تخرجه.

تخاطب العقل والقلب، وتثير التفكير والوجدان، قوية ناصعة لا تدع سبيلاً إلى جدل ولا مراء، فقرر الحقيقة أولاً: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ [الإخلاص: ١-٤]، ثم أقام الدليل: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الأنبياء: ٢١-٢٢].

﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسَبَّحَنَّا اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١-٢٢].

وفي موطن الرد على مشركي النصراري الذين اختلط عليهم الأمر من قبل ولادة عيسى، ذكر القرآن قصة مولده، ثم أبان أنه إذا كان ولد بغير أب فقد خلق آدم من تراب بغير أب ولا أم.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [الأنبياء: ٥٩]، ثم وجه إلى عدم المماراة والجدل، وسلك في سبيل الإقناع أسلوباً يستثير عوامل الخير، ويخاطب كوامن الإيثار في النفس.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٦١].

٢- القرآن يربي في قلوب العباد ملكة المراقبة والتقوى:

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقَالَ تَجَالَى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرحمن: ٨-١٠].

وَقَالَ النَّجَّالِيُّ: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يُونُس: ٦١].

فمهما استشعر قلب العبد اطلاع الله - عَزَّ وَجَلَّ - عليه ومراقبته لأقواله وأفعاله فإن هذا من أقوى الدواعي له على التقوى والمراقبة، والمعية معيتان معية سمع وبصر وقدرة وإحاطة وهي معية الله - عَزَّ وَجَلَّ - للخلق كلهم، ومعية خاصة بأوليائه وهي معية التأييد والنصرة، والتسديد كما قَالَ النَّجَّالِيُّ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [الْحَجَّال: ١٢٨]، وقوله تعالى لهارون وموسى: ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه: ٤٦].

فالمعية الأولى العامة: تستوجب الخوف والحذر والتقوى.

والمعية الثانية الخاصة: تستوجب الأُنس والرضا والثقة بوعد الله ونصره.

٣- القرآن يربي المسلم على أن تكون علاقته مباشرة مع الله - عَزَّ وَجَلَّ - فلا يحتاج إلى وسائط ولا شفعاء.

وَقَالَ النَّجَّالِيُّ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسَ تَجِيبُوا لِي وَلِيُؤْمِنُوا لِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وَقَالَ النَّجَّالِيُّ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [عنقره: ٦٠].

وَقَالَ النَّجَّالِيُّ: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَأَلهَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذَكَّرُونَ ﴾ [الجنال: ٦٢].

فمن أراد أن يتوب ويرجع إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - لا يحتاج أن يذهب إلى كاهن، أو ذي سلطان ديني حتى يرفع توبته، ولا يحتاج إلى شفعاء يشفعون له عند الله - عَزَّ

وَجَلَّ - ومن أراد أن يسأل شيئاً فعليه أن يرفع حاجته إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - مباشرة دون الرجوع إلى أحد من مخلوقاته كما قال النبي ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ»^(١).

٤- القرآن يربي المسلم على التفكير فيما يقع تحت حواسه من أحداث وآيات ليستدل بها على وجود الله - عَزَّ وَجَلَّ - وقدرته وعظمته.

قَالَ تَجَالِي: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ؕ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ [الواقعة: ٥٨-٥٩]،
وَقَالَ تَجَالِي: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴾

[الواقعة: ٧١-٧٢]

وَقَالَ تَجَالِي: ﴿ إِنَّا فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [العنكبوت: ١٩٠].

وَقَالَ تَجَالِي: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

[الذاريات: ٢٠-٢١]

فالقرآن يربي المسلم على التدبر والتفكير في مخلوقات الله - عَزَّ وَجَلَّ -، وفيما يقع أمامه من أحداث، ليستدل بها على عظمة الله وقوته، فيزداد إيماناً بالله - عَزَّ وَجَلَّ - ووحدانتيته.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

٥- القرآن يربي المؤمن على الثقة بنصر الله - عَزَّ وَجَلَّ - واليقين بوعده: قَالَ تَجَالِي: ﴿ وَمَا أَنْصَرُ إِلَّا مَنْ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ١٠]، وَقَالَ تَجَالِي: ﴿ وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [التغ: ٢٢]، وَقَالَ تَجَالِي:

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرُّومُ: ٤٧]، وَقَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [بَنَاءُ: ٥١]، وَقَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿وَإِنْ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصَّافَات: ١٧٣].

كما يبين القرآن من الذين يستحقون نصر الله فقال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الْمَلْحَج: ٤٠].

وَقَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [مُحَمَّد: ٧].

فالذين يستحقون نصر الله هم الذين نصروا الله بتحليل حلاله وتحريم حرامه، والإخلاص في الدعوة إلى دينه، وبذل الغالي والرخيص لإعزاز دينه، الذين يستحقون نصر الله هم الذين يحبهم الله ويحبونه، ويجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم. الذين يستحقون نصر الله هم الذين باعوا أنفسهم لله - عَزَّ وَجَلَّ - يطلبون رضی الله وجنته.

قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾

[الْمَائِدَةَ: ٥٤]

وَقَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمْ الْحَسَنَةَ يَقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التَّوْبَةَ: ١١١].

٦- القرآن يربي المؤمن على الاستعداد للقاء الله - عَزَّ وَجَلَّ -، وأن كل أحد من البشر له أجل محدود، فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون:

قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿أَيِنَّمَا كُنُوا يَدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ [النِّسَاء: ٧٨].

وَقَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنَبَأٌ مُّوجَّلاً﴾ [الْعَمَلَانَ: ١٤٥].

وقال الخليل: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾

[التوبة: ١٥٤]

ولما قال المنافقون بعد غزوة أحد: لو أطاعنا المؤمنون وتخلفوا معنا ما ماتوا وما قتلوا، يَبَنَّ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أن المقولة كافرة لأن فيها إنكاراً لحقيقة الأجل الذي حدده اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لكل واحد.

فقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التوبة: ١٥٦].

وبين اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أن الذين يقتلون في سبيلِ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لا يجوز أن يطلق عليهم أنهم أموات، بل أحياء عند ربهم يرزقون، فقد انتقلوا من حياة إلى حياة، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾

[التوبة: ١٦٩]

٧- القرآن يربي المؤمن على معرفة الغاية التي خلق من أجلها وهي عبادة اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - والهدف الذي ينبغي أن يسعى إليه وهو رضا اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وابتغاء وجهه.

قال الخليل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٧].

ويبين للمسلم أن نية العبادة والطاعة ينبغي أن تصاحب المسلم في كل قول أو فعل أو حركة أو سكون.

قال الخليل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

فكما يصلي لله - عَزَّ وَجَلَّ - ويذبح لله - عَزَّ وَجَلَّ - فهو يأكل ليتقوى على طاعة الله، ويناام يحتسب نومه عند الله، لأنه أيضًا يستعين به على طاعة الله، ويتزوج ليستعين بذلك ويتقوى على طاعة الله، فهو في كل أحواله عبد مطيع لله - عَزَّ وَجَلَّ -، لا يحل بحال أن ينسلخ عن العبودية لله - عَزَّ وَجَلَّ -، وكل من ينسلخ عن العبودية لله - عَزَّ وَجَلَّ - فإنه يقع في عبودية غير الله من الأحجار، والأشجار، والهوى والمال، والنساء، والطواغيت، فكلما اكتملت عبودية المسلم لله - عَزَّ وَجَلَّ - تحرر من عبودية غير الله وكلما نقصت عبوديته لله وقع في عبادة غيره، ولذلك كانت وظيفة الرسل وأتباعهم تعبيد الناس لله - عَزَّ وَجَلَّ - وتحريرهم من عبادة غير الله، فكل رسول قال لقومه: «اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره»، وهذا ربي بن عامر تلميذ رسول الله ﷺ يقول لرستم قائد الروم: «إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

كما يربي القرآن المؤمن على معرفة الهدف الذي يهدف إليه وهو الوصول إلى رضا الله - عَزَّ وَجَلَّ -، والفوز بجنته، والنظر إلى وجهه وهو أعلى نعيم أهل الجنة، فقال تعالى: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِهِ الْأَعْلَى ﴾ [الملك: ١٩-٢٠].

٨- القرآن يربي المسلم على أن التفاضل بين الناس ليس بالحسب ولا بالنسب ولا بالمال ولا بالشهرة وإنما هو بتقوى الله - عَزَّ وَجَلَّ -:

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

كان أبو لهب عم النبي ﷺ قرشيًا هاشميًا وحكم عليه القرآن بالنار وهو يمشي على الأرض فقال تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ ۚ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [المسد: ١-٥].

وكان سلمان فارسياً لم يكن عربياً فضلاً عن أن يكون قرشياً وارتفع بتقوى الله - عزَّ وجلَّ - واتباع رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد قال بعضهم:

لقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد وضع الكفر الشريف أبا لهاب
وكان سلمان جوهلاً يقول:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

٩- القرآن يُربي المسلم على الآداب الإسلامية المباركة كأداب بر الوالدين وآداب النظر، وآداب الاستئذان وآداب الحكم:

قَالَ النَّبِيُّ فِي آدَابِ بَرِّ الْوَالِدِينَ: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وَقَالَ النَّبِيُّ فِي آدَابِ النَّظَرِ: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [٣٠] وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

وَقَالَ النَّبِيُّ فِي آدَابِ الْاسْتِئْذَانِ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَاسْأَلُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور: ٢٧].

وَقَالَ النَّبِيُّ فِي آدَابِ الْحُكْمِ: ﴿ وَسَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وَقَالَ النَّبِيُّ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨].

١٠- القرآن يُربي المؤمن على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والبذل لإعزاز دين الله - عَزَّ وَجَلَّ :-

قَالَ تَجَالِي: ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ، ثُمَّ يَهَيِجُ فَرْنَهُ مُمْصِرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطْمًا ﴾

[التَّذْيِين: ٢٠]

فمهما زهد العبد في الدنيا وعرف حقارتها، وعرف الآخرة وخطرها فإنه يبادر ببذل نفسه وماله رغبة في رضا الله - عَزَّ وَجَلَّ - والفوز بجنته، قَالَ تَجَالِي: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [التَّوْبَةِ: ٣٨].

وَقَالَ تَجَالِي: ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التَّوْبَةِ: ٤١].

وقد كانت مواقف الصحابة رضي الله عنهم في البذل والتضحية على أعلى مستوى من الجلالة والعظمة، لارتفاع رتبهم في الزهد في الدنيا واليقين بالآخرة، والصدق مع الله - عَزَّ وَجَلَّ -.

١١- القرآن يُربي في المسلم العواطف الربانية الوجدانية:

يقول الأستاذ/ عبد الرحمن النحلاوي ما ملخصه: «يعتمد الترغيب والترهيب القرآني والنبوي على إثارة الانفعالات وتربية العواطف الربانية، وهذه التربية الوجدانية مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية:

(أ) كعاطفة الخوف من الله التي أمر الله بها ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [التَّوْبَةِ: ١٧٥]، ومدح عباده الذين يخافونه ووعدهم بالثواب العظيم ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ [الرَّحْمَنِ: ٤٦] بل أمرنا أن ندعوه خوفاً من عذابه وطمعاً في ثوابه.

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [العنكبوت: ٣١].

فجعل الله اتباع رسوله الذي يبلغ أوامره من شروط محبته.

كما وصف الله الذين يحبهم الله ويحبونه بقوله: ﴿ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَرْتَدٍ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَسَوَفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤].

وإذا تتبعنا حياة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه نرى أن محبة الله من أهم الدوافع التي تجعل الإنسان حريصاً على تحقيق شريعة الله في سلوكه وحياته، دون أن يكون عليه رقيب من البشر، وأن من أهم العوامل التي تؤدي إلى محبة الله الشعور بفضله، والتعرف إلى نعمه، وإلى ما أعد للمتقين في جنات النعيم، وطول مناجاته، وقراءة كلامه، وتأمل آثار رحمته... الخ.

(د) الرجاء: وهو الطمع في رحمة الله، والأمل في ثوابه وجزيل الأجر عنده، وقد كان هذا الرجاء دافعاً إلى الجهاد وطلب الموت في سبيل الله، فكان الصحابي والمجاهد يقول: بخ بخ هل بيني وبين الجنة إلا أن أقاتل فأقتل في سبيل الله؟ ويهجم على الأعداء حتى يستشهد، وغرس هذا الرجاء في نفوس الناشئة ينبي على الإيثار بالله واليوم الآخر، وعلى الإكثار من وصف الجنة ونعيمها، وربطها بضرورة التقيد بأوامر الله، وترك نواهيها، وبالجهاد وإعلاء كلمة الله^(١).

وختم حَفْظُ اللَّهِ بَحْثَهُ بِمَا مَلَخَصَهُ: «تعتمد التربية بالترغيب والترهيب على ضبط الانفعالات والعواطف والموازنة بينها.

فلا يجوز أن يطغى الخوف على الأمن والرجاء فيقنط المذنب من عفو الله ورحمته، وقد نهي الله عن هذا اليأس، فقال تعالى: ﴿ قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [النور: ٥٣].

كذلك لا ينبغي أن يطغى الفرح بزوال الشدة وقوتها، مما يدعو إلى العودة إلى المعاصي.

(١) «أصول التربية الإسلامية وأساليبها» باختصار [٢٥٩-٢٦٢].

بل ينبغي أن يجمع الإنسان بين الخوف من عقاب الله وعظمته ومقامه، فلا يطغى ولا يتملكه الغرور والرجاء في رحمة الله، فلا يأس من عفوه وكل من اليأس والغرور يؤدي إذا تمادى بصاحبه إلى الكفر أو الفسوق والطغيان، كما يفهم من الآيات السابقة.

ومن قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الْإِنْفِرَاتِ: ٩٩].

ولو استجمع الإنسان في ذهنه صفة من صفات الكمال الإلهي وما يقابلها من تلك الصفات لما وقع في شيء من التناقض أو الإفراط والتفريط في جنب الله، فاستشعار غضب الله يجب أن لا ينسينا رحمته، وإرادته المطلقة ينبغي ألا تنسينا حكمته وهكذا..^(١)

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الْإِنْفِرَاتِ: ١٦٧].

١٢- القرآن يربي المؤمن على المحبة الشديدة لله - عَزَّ وَجَلَّ - التي تدفعه للبدل في سبيل الله وألا يعز شيئاً على الله - عَزَّ وَجَلَّ -:

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البَقَرَةَ: ١٦٥].

وقَالَ النَّبِيُّ: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ ﴾ [الْمَائِدَةَ: ٥٤]، وحب المؤمن لله - عَزَّ وَجَلَّ - يجعله يبذل الغالي والرخيص، والنفس والنفيس، لله - عَزَّ وَجَلَّ - فلا يعز شيئاً على الله - عَزَّ وَجَلَّ -، ولو كانت روحه التي بين جنبيه قَالَ النَّبِيُّ: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَأَلَّهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التَّوْبَةَ: ٢٤]، وإنما كان ذلك حتى يكون البذل والتضحية لإعلاء راية الله وإعزاز دينه، فإن شجرة الإسلام لا تروى بالماء وإنما تروى بالدماء.